أجراس

حقد مزمن

سليم بوفنداسة

تُظهر فئة من الكتّاب الفرنسيين حقدًا أسودَ على الجزائر، لخّصه الكاتب جون بول انتوفان بالقول إنّه وجد صعوبة حتى في كتابة كلمة الجزائر حين اضطر إلى ذلك في كتاب، وتطلّب الأمر منه وقتًا طويلا ليرغم نفسه على كتابتها!

الكاتب (الذي لا يستحق الذّكر) وفي حوار مصوّر بُثّ منذ يومين على منصّات جريدة "لوفيغارو" التي تخصّصت هذه الأيام في محاورة هجّائي الجزائر، قال إنّه لا يدين بشيء للجزائر التي ولد بها خلال الفترة الاستعمارية، وإنّه لا يحبّها ولا يحبّ طفولته، وإنه لم يكن معنيا بالشّمس التي وصفها "كامي" لأنّ الشّمس كانت للفقراء الذين يعملون في الحقول، أما الطبقة التي ينتمي إليها فكانت تعيش في الظّل حيث مازال يذكر كيف كانت أخواته وبنات أعمامه يزلن آثار الشمس بالحليب وعصير الليمون.

وذهب بعيدا حين وصف الجزائر بالأرض الملعونة الغارقة في الدم والحماقة.

الكاتب الذي يشتغل مستشارا وكاتب زوايا في مجلة "لوبوان" وسبق له العمل في عدة صحف ودور نشر على غرار غاليمار وغراسي، من مواليد معسكر سنة 1949 وهي المنطقة التي شهدت ميلاد والد برنار هنري ليفي (المولود بدوره ببني صاف)، ويرتبط الكاتبان بصداقة طويلة وحميمة إلى درجة أنّه وصف ليفي بالأخ بالاختيار، فهما من أصولٍ يهوديّة جزائريّة وربطتهما مشاريع إعلامية، ويتقاسمان الكثير من الأفكار والقناعات، من بينها معاداة بلد المولد وهي الرياضة التي يمارسها إيريك زمور، أيضًا.

وإذا كانت مشكلة يهود الجزائر تعود بالأساس إلى انحيازهم للمستعمر الذي فصلهم بمرسوم "كريميو" عن بقيّة الجزائريين، فإن نهج بعض مثقفيهم اليوم يكشف بوضوح عن انحياز للمؤسسة والايديولوجية الكولونيالية، في الطبعتين القديمة والجديدة غير المنقّحة التي يجري تداولها في دوائر سياسيّة وإعلاميّة فرنسيّة، هذه الأيام، برعاية غير كريمة من رجال أعمال مفترسين استولوا على وسائل الإعلام، هذا الانخراط في الحملة النيوكولونيالية سيبقي الجزائريين على حذرهم وتوجّسهم القديم من الفئات التي اختارت المستعمر وانحازت إليه، وثمة استثناءات لا تخرق القاعدة بالضرورة، كما أنّ هناك بعض الملتحقين المتأخرين من "المشتغلين في الشمس" على حدّ تعبير الكاتب أعلاه في صورة الكاتب الذي تأويه المجلّة ذاتها التي تستشير جون بول انتوفان.

وبكل تأكيد فإن السّهام التي يطلقها هؤلاء الكتّاب، تُبطل الاتهامات التي توجّهها هذه الفئة للجزائر حول إنكار وجودها، فمن الحماقة أن تطلب من الضحيّة أن تقابلك بمودة وأنت تقف في صفّ الجلاد.

الفُرجة لا تحجب صناعة الوعي

المسرح.. متعة ورسائل

المثلة امال وهيبة العمري لـ "النصر"

دراسة اللغة والثقافة الأمازيغية بوابتي لولوج المسرح

أطلت الفنانة المسرحية العمري امال وهيبة، خلال شهر رمضان المنقضي على القناة الوطنية الرابعة الناطقة بالأمازيغية للتلفزيون الجزائري في دور أستاذة بمسلسل منعرجات الحياة الذي جرى تصويره بولاية باتنة، وأكدت امال نجاح أول تجربة تلفزيونية لها في رصيدها الفني، إلا أنها أكدت في هذا الحوار مع «النصر»، أنها تظل تحب وتفضل خشبة المسرح.

الفُرجة لا تحجب صناعة الوعي

المسرح .. مُتعة ورسائل

يظل المسرح رافدًا أو بالأحرى أحد أهم الروافد الثّقافيّة والفنية، التي ساهمت/وتُساهم في تشكيل وصناعة الفن والجمال والفرجة، كما ظل على مر العصور فنًا رساليًا، يُمرّر من خلاله المسرحيون خطابًا توعويًا. وهذا من خلال العروض المسرحية بمختلف تياراتها ومدارسها الفنية. فهل يمكن القول بالموازاة: إنّه أيضًا من أهم الروافد أو من أهم العناصر والأدوات التي ساهمت وتساهم في تشكيل أو في صناعة الوعي لدى الجمهور؟ وهو حقا كما تقول الدكتورة بوغواص، «ليس للترفيه أو المتعة فقط، وإنّما لصناعة الوعي وإثرائه، وتغيير الأفكار»؟. وهل هو أيضا كما يقول الدكتور عبد الحميد ختالة: «ليس أقدر من المسرح على صناعة الوعي». حول هذا الموضوع «المسرح وصناعة الوعي»، كان ملف عدد هذا الأسبوع من «كراس الثقافة»، مع مجموعة من النقاد والكتّاب المخرجين المختصّين في شؤون المسرح.

أعدت الملف: نوّارة لحرش

◆ الروائي والكاتب المسرحي محمّد الأمين بن ربيع

المسرح هو أحد أقوى الوسائل لصناعة الوعي الجماعي والفردي

يقول الروائي والكاتب المسرحي، محمّد الأمين بن ربيع: «يتفق الجميع على أنّ المسرح فنٌ فُرجوي، فمنذ بداياته ارتبط بمفهوم المتعة والتسلية، وتوفير جو من البهجة لجمهوره، واستمر المسرح على هذا المنوال حتّى هذا الزمن، فإذا قصد الجمهور المسرح فإنّما للاستمتاع بما يُعرض على الركح، غير أنّ ارتباط المسرح بمفهوم الالتزام جعله فنًا رساليًا كذلك، يُمرّر من خلاله المسرحيون خطابًا توعويًا ساهم ويُساهم في صناعة الوعي لدى الجمهور، وغالبًا ما يرتبط هذا الخطاب بإيديولوجيات معينة، منطلقاتها نابعة من رؤية صُنّاع المسرحية أو المجتمع والزمن اللذين أُنتجَ فيهما هذا العمل».

وفي ذات السّياق، أضاف قائلا: «وإذا كان المسرح يُساهم في صناعة الوعي فذلك بسبب وعي صُنّاعه بأهميته ودوره، ولذا نجد أنهم يعملون على تحفيز التفكير النقدي لدى المتلقي، وذلك بتشجيع الحوار وطرح الأسئلة والبحث عن الإجابات، فالمسرح لا يكتفي بتقديم العرض فقط بل يتجاوز ذلك إلى إثارة الإشكاليات ودفع المتفرج إلى التساؤل وافتراض الإجابة، التي قد تكون موافقة لرؤية المسرحي كما قد تكون مخالفة له وهذا ما يزيد من عُمق الإشكالية وتوالد الأسئلة وبالتالي انفتاح العرض على مستويات تلقٍ مُتعدّدة وذلك ما يُساهم في إستمراريته ورسوخه في ذهن المشاهد».

وفي ذات الفكرة، أردف مُوضحاً: «كما أنّ اهتمام المسرح بالقضايا الوطنية وقضايا الأمّة من خلال العروض التي تتناول الأحداث التّاريخية ومرتكزات الهوية من شأنه أن يُعزّز وعي المتفرجين إزاء تلك القضايا، ولذا يكثر الإنتاج المسرحي الّذي يُقدم عروضًا ذات صلة بالشخصيات التّاريخية والأبطال خاصةً في المناسبات الوطنية وأثناء الأزمات كالحروب، فقد أثبت المسرح أنّه وسيلة للمقاومة إذ يتخذه المسرحيون وسيلة لإعلان نضالهم، ولعل التجربة المسرحية الرائدة لفرقة جبهة التحرير الوطني خير مثال على ذلك».صاحب مسرحية «كفن البروكار»، أضاف قائلا: «لا بدّ أنّ المهتمين بالشأن المسرحي في الجزائر يُدركون الدور الّذي أدّته الفرقة الفنية لجبهة التحرير الوطني من خلال العروض المسرحية التي قدمتها تعبيرًا عن وضع الثورة الجزائرية ورفض الجزائريين للاستعمار الفرنسي، وذلك من خلال عروض مازالت راسخة في الذاكرة كأبناء القصبة ودم الأحرار ونحو النّور، لقد أثبتت تلك العروض أنّ المسرح ليس مُجرّد فن، بل هو أداة تثقيفية وتحفيزية تُشكل وعي الأفراد وتدفعهم إلى التفكير والتغيير، ممّا يجعله أحد أقوى الوسائل لصناعة الوعي الجماعي والفردي».

وببعض الاستطراد خلص إلى القول: «لعل المسرح أيضًا يُقدم القضايا المسكوت عنها أو تلك التي يتناساها الإعلام والوسائط الإعلامية، فهناك موضوعات قد تكون طابوهات في بعض المجتمعات، مثل العُنف الأسري، التمييز ضدّ المرأة، أو مشاكل الصحة النفسية، المسرح يستطيع تقديم هذه القضايا بشكلٍ مُؤثر دون أن يكون مُباشراً أو صادماً، ممّا يُساعد الجمهور على تقبل النقاشَ حولها، هناك مجموعات من النّاس لا يُسمع صوتها في وسائل الإعلام أو الخطاب العام، مثل المهاجرين، اللاجئين، ذوي الاحتياجات الخاصة، أو الفقراء. المسرح يمنَح هذه الفئات مساحة ليعبروا عن أنفسهم، إمّا من خلال القصص التي تروي معاناتهم أو حتّى بمشاركتهم في التمثيل والعروض المسرحية».

◆ الأكاديمية والناقدة المسرحية زبيدة بوغواص

المسرح محرك أساسي للوعي وتعرية المتخفي

بدورها الأكاديمية والناقدة المسرحية الدكتورة زبيدة بوغواص، تقول: «في البدء، كان القول (أعطني مسرحًا أعطيك شعبًا مُتحضرًا)، وهو الأمر الّذي جعل هذه الظاهرة الفنية تتميز بالنمو والاستمرارية والتجدّد، إذ يتميز المسرح عن غيره من الفنون بكونه يستطيع أن يصنع وعي المتفرج أو القارئ، أو وعي المتلقي بشكلٍ عام».

فالمسرح -تُضيف المتحدثة- «ليس للترفيه أو المتعة فقط، وإنّما لصناعة الوعي وإثرائه، وتغيير الأفكار، ففي ظل المسيرة الجدلية الطويلة للدراما نجد تجليات هذه الصناعة، من خلال تلك المذاهب والتيارات المسرحية الجديدة والتجارب في المسرح العالمي المُغايرة للدراما الكلاسيكية، والفلسفات التي كانت لها مُيزاتها في صياغة العمل المسرحي، وظهورها كان نتيجة تراكم معرفي بكلّ تجلياته: الاجتماعية، والسّياسيّة والثّقافيّة.. المُغايرة لعصر مَا، وفي ظل تغيرات سياسيّة وثقافية وفكرية واجتماعية واكتشافات علمية، فكانت السريالية والتجريبية، والملحمية، ومسرح القسوة، والتجريدية واللامعقول وغيرها من التيارات التي تعد من مكونات البيئة، والتي عبرت عن اضطراب قيم العصر الأساسية ألتي تنزع نحو التحديث، أو إتباع نظرية معرفية أو قصدية معينة، أو الرؤية للعالم والفن بغرض دفع حركة الحياة للأمام».

وتواصل في ذات السّياق: «ففي المسرح الملحمي -مثلاً- نجد برتولتبريخت يُراهن على الوعي وتحريك الوعي أساسًا، وليس على المتعة والتخدير، والإيهام، فهو مثلاً في مسرحيته (رجل برجل) يُقنع المُتلقي بإمكانية تغيير العالم، وتغيير الإنسان، ففي هذه المسرحية نرى جنودًا من الإنجليز في الهند يفقدون أحدهم، فيستبدلونه بغيره بسهولة، وممّا يفهم من هذا الفعل أنّ الإنسان قابل للتغيير. فإثارة الوعي في هذا المسرح تقوم على الرهان على الجدل والتغريب والإقناع بضرورة التغيير».وهنا أردفت: «وما الوجودية عند جون بول سارتر إلاّ مظهر من مظاهر وعي ما، مهما كانت نزعته واتجاهه، حين أخذ يُشكك في الوجود والأخلاق والتقاليد للإنسان، ليظهر تيار اللامعقول أو العبث، تعبيرًا عن وعي جديد بمصير هذا الإنسان الذي أضحى مستلب الحرية، حين أُفرغ من محتواه الشعوري والفكري والقيمي، وتحوّل إلى مجرّد آلة، ممّا دفعه إلى العزلة والشعور بالاّ أمن، وفقدان التواصل في البناء الاجتماعي خاصةً».

وفي ذات الفكرة، واصلت: «ولعل أمثلة أخرى تحضرنا عن المسرح العربي والمسرح الجزائري في هذا المقام، وقد نُشير إلى مسرحنا في صناعة الوعي الثوري إبان الثورة، حتى وهو خارج حدودنا في تونس، حين كانت تعرض مسرحيات مثل (الخالدون) و(أبناء القصبة)، و(دم الأحرار) ويُشاهدها المجاهدون وهم واقفون، ليتجهوا بعدها إلى ساحة المعركة، ويكون البلاء الحسن».

ثم تستدرك قائلةً: «في الوقت الحالي قد نقول أننا نفتقد لأعمال مسرحية تنزع نحو هذا الوعي، نحو تعرية الواقع الحقيقي المُتخفي خلف ما خلفته السنين، مسرح نرى فيه آمالنا وطموحاتنا لأسباب فنية وأخرى إدارية، الأولى نرجعها إلى ضُعف في الكتابة، في الوعي بأهمية هذا الفن في صناعة الوعي بمصير هذا الإنسان، بقضاياه، الثانية نرجعها إلى الرقابة التي تُمارس سلطتها، فتضيق من مساحة التعبير الحر، وبالتالي التأثير على صناعة الوعي». وفي الأخير ذهبت إلى تأكيد وجهة نظر مؤداها: «مهما يكن فالعمل المسرحي له دور في صناعة الوعي بوظائف عدة كالإصلاح والفهم، والتربية الجمالية، وكيفية إدراك الكون بشكلٍ عام، وهذا لا يعني أنّ المسرح يستبعد المتعة الفنية، التي ينبغي أن تنبع من كلّ عناصر اللعبة المسرحية من إخراج وتمثيل وديكور ومؤثرات موسيقية بشكلٍ عام».

◆ الفنان والكاتب والمخرج المسرحي مصطفى بوري

المسرح من أهم الفنون ذات التأثير

يقول الفنان والكاتب والمخرج المسرحي مصطفى بوري: «لا يخفى على أحد أهمية الفنون ذات الاتصال الجماهيري في صناعة الوعي وتوجيه الرأي العام، وقد كانت حرب الخليج واحدة من أقرب وأهم الأمثلة التي استُعملت فيها الفنون البصرية مثلاً لإحداث مُغالطات والترويج لإشاعات برَّرت فيما بعد غزو أمريكا للعراق، والأكثر من ذلك أنها حشدت تضامنًا دوليًا واسعًا مع هذه الحرب التي تبين فيما بعد أن جلّ أسبابها كانت واهية».

ثم أردف: «إنّ المسرح بصفته واحداً من أهم الفنون التي تساهم في صناعة الوعي، والتي كانت ولا تزال تُشكل رافدًا من روافد التأثير الواسع يُعد وسيلة لتبادل الأفكار وتلاقحها، وهو الصرح الحضاري الأهم لإثارة النقاش في الوسط الثقافي، هذا فضلاً عن أنّه وسيلة للامتاع الفكري. إنّ أهمية أن يُستصاغ الفكر الإنساني في قالب درامي هو تيسير هضمه للعقول المتفحّصة كي يتم تداوله في الوعي الجمعي».

مُضيفًا في ذات السّياق: «فالمسرح يُخاطب العاطفة والفكر في آن معًا، ويجعل الجمهور يعيشُ القضية، أو القصة والأحداث كأنّها هو طرف فيها، وهذا من خلال تماهيه مع شخوصها التي تحمل الفكرة بدلاً من مجرّد سماعها أو قراءتها».وهنا يُشير إلى نقطة ذات صلة بمَا سبق: «إنّ الفن المسرحي بوصفه المرآة العاكسة للواقع والتمثلات الممكنة كاستشراف للمستقبل يُصوغ ويُقدّمُ القضايا الاجتماعية والإنسانية في قالب درَامي ويَهبُها الحياة ويُضفي عليها شيئًا من الوضوح فتكتسب بذلك ميزة التأثير بشكلٍ أعمق».

فالشخصيات المسرحيّة -كما يقول- حينما تمرُّ بمواقف تعكس واقعًا ما، يكونُ انعكاسها (أي المواقف) على المُتلقي كبيرًا، ممّا يجعل الجمهور يتبنّى القضايا المُثارة كالحرية والمسئولية والفساد والظلم والتطرف وحقوق الإنسان، بكثير من الوعي.ومُستدركاً يُضيف: «كما أنّ للمسرح دورا في تحفيز التفكير النقدي باستفزاز العقل وإثارة التفكير، ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ الفنّ لا يقدم إجابات جاهزة ولا حلولاً مُبتكرة، بل إنّه يطرح أسئلة تجعل المتلقي يفكر ويُحلل ويُناقش وله واسع النظر».

كما أنّ المسرح -حسب ذات المتحدث- لا يكتفي بطرح القضايا ونقل الرسائل، بل يُحرّض على تغيير الواقع ودفع النّاس إلى المطالبة بحقوقهم، مثلما هو الحال في المسرح الثوري، كالمسرح الجزائري إبان الاحتلال، والمسرح الملحمي لدى بريخت أيّام الحرب العالمية الثانية.

مُؤكدًا في هذا المعطى، أنّه «لا يجب أن نتغاضى عن الأهمية القصوى التي يكتسبها الفن المسرحي في تعزيز مكانة عناصر الهوية والمعالم الحضارية للشعوب وتقوية وعيهم بتاريخهم».

ثم خلص إلى القول: «إلى جانب قدرته ومساهمته في صناعة الوعي، المسرح أيضًا بصفته قناة لتناقل الفكر يعمل على مقاومة التضليل ومحاربة الجهل الّذي بات في وقتنا هذا يكتسي بكساء العلم، ويُحرّر العقل من الاجترار المعرفي وذلك عن طريق ما يمكن لهذا الفن أن يفتحه لدى الفنان المسرحي وجمهوره على حدٍ سواء من آفاق فكرية».

◆ الباحث والناقد عبد الحميد ختالة

المسرح هو فن الوعي وليس أقدر من المسرح على صناعة الوعي

يقول الناقد والأكاديمي الدكتور عبد الحميد ختالة: «لقد كان ومازال المسرح فعل إرادة ومقاومة، خاصةً إذا ما نظرنا إلى أنّ القاعدة الأساسية لمفهوم الدراما حسب التعريف الأرسطي هي (فعل نبيل تام)، فالفعل هو أساسَ المسرح في كلّ الأغراض. وليس بغريب أن يكون المسرح أكثر الفنون التصاقًا بالوعي والمقاومة والفكر الثّوري والدعوة إلى التغيير والنمو بالفكر الإنساني».

فقد كان منذ وجوده -حسب رأيه- قائمًا على الباعث والمستقبل ومهددًا بالتغيرات السياسية والمناخات الاجتماعية التي كانت تمنعه حينًا وتحرمه أحيانًا، لما يحتويه من آليات مُؤثرة من أجل أستنهاض ذوات وقيم الشعوب، ولمَا يمتلكه من آليات لنقد السلطة مهمَا كانت طبيعتهَا ولمَا يتسم به من طبيعة آنية واقعية.

وهنا أردفَ قائلاً: «نعلم أنّ فن المسرح قد نشأ دينيًا بارتكازه على الطقوس والشعائر الدّينية، وشعرياً باتخاذه من الشّعر نمطًا تعبيريًا ولغةً، كلّ ذلك منَ أجل أن يأخذ الفعل المسرحي مساحته الكافية في التأثير على ذائقة المُتلقي ومُشاكسة أُفُق إنتظاره من أجل توسيع مساحات الوعي لديه، والحال هذه فلا مناص من صياغته وفق أسلوب فني مُتجدّد يجعله المُنتج للوعي الأوّل الّذي إشتغل عليه المسرح، ولعلّ هذا مَا شَكّل خصوصية المسرح الأرسطي أو ما يصطلح عليه بالمسرح الدرامي، إذ يشتغل المسرحي على مستويين اثنين، المستوى الأوّل متعلق بالخيال فَي حالته المحض فنية أو ما يُعرف بإنتاج الفرجة، وفي المستوى الثاني يحرص على استئناس ذوق المتلقي (الجمهور) الّذي ينتقل بالفعل المسرحي من شعرية الدال إلى شعرية المؤدى المسَرحي على الخشبة وَما تُنتجه من معارف تُراكِم الوعي بالوجود».

وخلص إلى القول: «لا نختلف إذا قُلنا بأنّ المسرح هو فن الوعي، إذ هو الفن الوحيد الّذي بإمكانه أن يُشهد الفكرة والإحساس بل هذا مُبتغاه ومأموله، والحال هذه فإنّه ليس أقدر من المسرح على صناعة الوعي بالفكرة خاصةً وهو يتوسل في ذلك المُمكن من اللّغة والمُتاح من العرض والمُؤثث من السينوغرافيا، وقد نجح المسرح كثيرًا في أن يُخاطب مُتلقيه بموضوع الثورة عن الجهل والركود اعتقادًا وقناعةً كرستهما روح المسرح البريختي، هذا الأخير الّذي أخرج الفعل المسرحي من الدرامي إلى الملحمَي ومن الوهم إلى الوعي».

◆ الناقد والكاتب محمّد بن زيان

أهم وسائط التفاعل وأهم مكونات الوعي في واقع يجافي القراءة

يقول الناقد والكاتب محمّد بن زيان: «الوعي محصلة تفاعلات تَلَقي مُتعدّد المصادر والمستويات، وللفنون دورها ومن بينها المسرح، بل في واقع لا يعرف مقروئية مرتفعة المنسوب، يصبح المسرح والدراما والسينما أهم وسائط التفاعل وأهم مكونات الوعي».

مُضيفاً في ذات المعطى: «فالتلقي الأوسع مرتبط بالمنجز الجمالي الّذي يُغذي ويُنمي الحس الجمالي وتلك ماهيته الأساسية، لكن في سياق القيمة الجمالية هناك حمولة قيمية ورمزية لا تُعوض ما يُنجز في حقول المعرفة والفكر، بل تتكامل وترابط، مُحقّقة بالصياغات الجمالية ما يُكثف الأثر. وفي سياقنا ارتبطت نشأة المسرح بدور بيداغوجي فكان مُسهمًا مع الصحف والمدارس الحرة والنوادي قبل استرجاع الاستقلال في صياغة الحس والوعي».مُشيرًا في ذات المعطى إلى أنّ «للمسرح خصوصية المزيج الّذي يصغه، والأساليب التي يعتمدها في مخاطبة المتلقي، بطرق مع الامتاع تُحرك الإحساس أو تحفز على السؤال أو تفتح أفقًا للتأمل... ومثل بقية الفنون يُتيحُ صياغة رمزية تُبدع العلامة ومحور آية حضارة وآية قوّة هي العلامات، علامات تُورشف جماليًا بتعبير المرحوم بختي بن عودة».

ويُضيف بن زيان: «المسرح مرتبط أساسًا بالفرجة والمتعة، ولكن الفرجة لا تنفصل عن مرجعية فلسفية وأنثربولوجية، عن شكل بيداغوجي يُرسّخ عبر الفرجة قيمًا. والمسرح أنواع تتباين مستويات تلقيها، ومنها العميق الّذي صار مرجعًا مرتبطا بتيارات فلسفية، مرجعًا -مثلاً- في التحليل النفسي، ومنها البسيط ومنها الموجه لشريحة مثل الأطفال».

المُتحدث ذهب في الأخير إلى تأكيد أنّ «هذا التنوع المذكور يُؤهل المسرح لأداء أدوار محورية في بناء الوعي بتنمية الحس الجمالي وهو ما يُهذب النوازع النفسية ويُنمي قابلية التثقف، وبالتالي الوعي بالذات وبالآخر المتعدّد، وعي بالخصوصية وبالكونية. ويستمر التحدي ومعه الرهان على دور المسرح في بنية الوعي، في سياق مرحلتنا التي تطبعها تعقيدات وانفلاتات التطوّر المختل، تطوّر تقني هائل وتدهور خطير لكلّ معاني الأنسنة».

◆ الكاتب والناقد الفني سمير رابح

المسرح جسر إلى وعي الجماهير

يرى الكاتب والناقد الفني سمير رابح، أنّه لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الأصل الديني للمسرح أكسبه وظيفة راسخة تمثلت في بناء الوعي الأخلاقي في المجتمع، وكلّ عرض مسرحي لا يلتزم المُمكن من اللّغة والمُتاح من العرض والمُؤثث من السينوغرافيا، وقد نجح المسرح كثيرًا في أن يُخاطب مُتلقيه بموضوع الثورة عن الجهل والركود اعتقادًا وقناعةً كرستهما روح المسرح البريختي، هذا الأخير الّذي أخرج الفعل المسرحي من الدرامي إلى الملحمَي ومن الوهم إلى الوعي».

الإنسان، ويتناول الظواهر ذات القيمة في المجتمعات إيجابًا وسلبًا، فيفتح أعيننا على ما غفلنا عنه، أو تجاهلناه، أو اعتدنا عليه حتى صار بقبحه مألوفًا. كما صار يطبيه في حكم العادي، إنّنا نرى أنفسنا بوضوح في المرآة -على الركح- فنسخر منها أو نبكي لأجلها، معنى ذلك أننا نتطهر من السلبية والمشاعر السيئة».ويواصل مستدركاً: «لكن ونحن نرسم الواقع أو نشرح الإنسان، فإننا لا نسعى إلى تقديم صورة طبق الأصل عنه نكتفي بإسنادها إلى جدار صلب ثابت لا يتحرك، إننا نريد أن نرسمها بطريقة مُغايرة تجذب الأنظار وتدعو الإنسان إلى تقبل الجديد واعتناق التغيير، وتقبل الآخر والتمسك بالهوية، فالأسئلة التي قدمها المسرح على مر العصور، هي أسئلة تنغمس في الواقع وتبحث فيه عن أجوبة قابلة لإعادة صياغة الفكر، وتعديل السلوك، وتقييم الخلق الإنساني وتقويمه».مُؤكداً في هذا المعطى، إنّ هذا هو دور المسرح، أي أن يعلمنا كيف نذوب وكيف نتحرّر وكيف نتحوّل إلى النمط ذاته، الّذي يشبه هويتنا، وقيمنا ومبادئنا، وحتى علاقتنا بديننا وبالمقدسات أيضا. لكننا مع الأسف في الجزائر -وحسب رأيه دائمًا- خصوصًا في السنوات الأخيرة نفتقد لهذه العروض المسرحية النبيلة، الهادفة لبناء الإنسان الجزائري المُعاصر، لمساعدته في التصالح مع ذاته من خلال طرح بعض المسائل العالقة فيما تعلق بالهوية والقيم الجزائرية ومبادئ الأمة الجزائرية.

مُضيفًا من جهة أخرى: «إنّنا في الواقع وفي غالب الأحيان نُنتجُ عروضًا مسرحية من أجل أن ننتج وفقط، وفي ظل غياب منظومة مسرحية ترسمها وتديرها النخب الثقافية الواعية بأهمية المسرح وضرورة الارتقاء بالإنتاج المسرحي بالحرص على جودة الأعمال».المُتحدث، يعتقد أيضا، أنّه وبفهم هيكلية دخول المسرح في بناء المجتمع ثقافيا وسياسيا وتعليميا، يصبح السؤال الأهم عن نوع المسرح الّذي يسهم في هذا البناء الفكري للمجتمع؟

مشيرًا في الأخير، إلى أنّ المسرح كان وسيبقى أحد أهم الجسور إلى وعي الجماهير. وأنّ مقولة «أعطني مسرحًا أعطيك شعبًا عظيمًا»، لخصت الوظيفة الرسمية والأصلية للمسرح باعتباره وسيلة تعليمية تربوية وتثقيفية لتأسيس البنية الفكرية للفرد.

◆ الممثل والمخرج المسرحي ومدير مسرح باتنة الجهوي منير بومرداس

المسرح كان له أثر فارق حتى في تغيير مسار التاريخ

يقول المُمثل والمخرج المسرحي ومدير مسرح باتنة الجهوي منير بومرداس: «أوّلاً عندما نتكلم عن المسرح في صناعة الوعي الفني والثقافي فلا بدّ أن نستعمل كلمة فاعلية الخطاب المسرحي منذ نشأته عند الإغريق إلى يومنا هذا أين كان له الأثر الفارق في تغيير حتى مسار التاريخ، بتوليفة سحرية جمعت بين مجموعة من الجماليات بدايةً من النص الدرامي إلى الديكور والأزياء إلى الموسيقى إلى لغة الجسد والصوت وتوابل فنية أخرى تطوّرت مع التطوّر التكنولوجي».

مُضيفًا في ذات الفكرة: «وهنا استقطبت العلبة السوداء على الركح الجماهير وأصبحت هذه الجماهير تستمع إلى خطاب فني متنوع منه ما يُجدد هوية الشعوب ومنه ما يطرح ويُنبه إلى طرح قضايا آنية أو قادمة، فلكل مجتمع عاداته وتقاليده وموروثه المادي وغير المادي ومعتقداته، فهو هنا يصنع جانبًا مُهمًا من القيم وترسيخها، وهذا ما شاهدناه في الكثير من المسرحيات التي خلدها التاريخ مثل (حرب طروادة) و(ملحمة السومريين) (قلقامش) والأمثلة كثيرة».

أمّا في وقتنا الحالي -يُضيف المتحدث- ورغم ظهور بدائل كثيرة في ظل هيمنة التكنولوجيا وعصر الانترنت إلاّ أنّ المسرح يبقى رافدا قويًا في صناعة الوعي. ثم أردف قائلاً: «وبالعودة إلى الثورة المجيدة، فرقة جبهة التحرير الوطني للمسرح لعبت دورًا كبيرًا في صناعة الوعي النضالي نحو الحرية، ونذكر هنا، مشاركة الشهيد العربي بن مهيدي في عدة عروض مسرحية، وتحديداً مسرحية (في سبيل التاج) وهي خير دليل على أنّ عقيدة المؤدي أو العرض في حد ذاته كان كخطاب موجه لصناعة وعي المُتلقي وهو الشعب، وبطريقة فنية وسلسة».

وهنا أضاف مؤكداً: «وهذا ما هو مطلوب في الوقت الراهن، فعلى صُنّاع العرض المسرحي سواء كانوا كُتّاب نصٍ أو مخرجين أو فنانين أن يُركزوا على الأحداث الراهنة سواء ما يحدث في العالم من متغيرات جيوسياسية أو ثقافية فنية، فالتحديات كبيرة في لفت انتباه الجمهور والتسلل لطرح القضايا المهمة على سبيل المثال أحداث الوطن العربي خاصة الحرب على غزة فهي مادة وجب الوقوف عندها، بالإضافة إلى الجزائر والتحديات التي تُحيط بها، سواء كانت إنجازات إيجابية يصنعها الوطن أو مخاطر يُواجهها بشجاعة».

وبذلك -حسب رأيه- يُساعد المسرح على تعزيز الوعي الثقافي وخلق المواطنة الصحيّة السليمة في مواكبة القضايا المُهمة سواء كانت اجتماعية أو فلسفية أو سياسيّة وإنسانية. ختامًا -يرى المتحدث- أنه يجب الاعتناء بمسرح الطفل والاستثمار فيهِ بالعمل على دعوَة الأدباء والكُتّاب والمؤلفين وخاصة المختصين لتحضير نصوص جادة تُقدم للمخرجين والمسارح لصناعة عروض جيدة وهادفة. فطفل اليوم هو جيل الغد علينا تحضيره لِمَا هو قادم.

الممثلة امال وهيبة العمري لـ "النصر"

دراسة اللغة والثقافة الأمازيغية بوابتي لولوج المسرح

أطلت الفنانة المسرحية العمري امال وهيبة، خلال شهر رمضان المنقضي على القناة الوطنية الرابعة الناطقة بالأمازيغية للتلفزيون الجزائري في دور أستاذة بمسلسل منعرجات الحياة الذي جرى تصويره بولاية باتنة، وأكدت امال نجاح أول تجربة تلفزيونية لها في رصيدها الفني، إلا أنها أكدت في هذا الحوار مع «النصر»، أنها تظل تحب وتفضل خشبة المسرح، التي تعلمت من أجلها الحديث بالأمازيغية ودراسة اللغة والثقافة الأمازيغية، معتبرة نفسها ابنة المسرح الأمازيغي، وهي التي توجت بعديد الجوائز في عديد التظاهرات أبرزها المهرجان الوطني للمسرح الأمازيغي، وإلى جانب التمثيل تهوى وتشتغل أيضا العمري امال وهيبة على الكتابة المسرحية والأدبية.

حاورها: ياسين عبوبو

○النصر: كيف كان ثقل دور المرأة الوحيدة في العرض المسرحي التاريخي الأخير «سجل يا تاريخ»؟

«سجل يا تاريخ» عمل من إنتاج جمعية أجياد بولاية باتنة، تم التحضير له وعرضه بمناسبة اليوم الوطني للشهيد المصادف للثامن عشر من شهر فيفري، والعمل من إخراج عزالدين بن سعيد، والنص المسرحي اقتبسه الزميل الفنان عصام خنوش، من مؤلف الراحل الباحث في المسرح الدكتور صالح لمباركية، «النار والنور» والعمل تاريخي بحت وكنت فعلا خلال العرض المسرحي العنصر النسوي الوحيد، وأديت خلاله دور حورية زوجة الشهيد عمار وتبرز أطوار العرض همجية وجرائم المستعمر الفرنسي، وفي الوقت نفسه تبرز بطولات الشعب الجزائري في مقاومة الاستعمار خلال تلك الحقبة، وفي الحقيقة إن صح التعبير، لم يكن هناك ثقل كوني المرأة الوحيدة في العرض، خاصة وأني تمرست في عدة عروض سابقة، خاصة منها المونودرام الذي أظهر فيه وحيدة طيلة العرض وتمكنت من الأداء.

○النصر: ماذا يعني لك المسرح الأمازيغي الذي توجت بعديد جوائزه؟

بالنسبة لي أنا ابنة المسرح الأمازيغي، لأن أولى بداياتي لولوج المسرح المحترف كانت بوابة المهرجان الوطني للمسرح الأمازيغي، ولم يكن الأمر هينا خصوصا وأني كنت لا أجيد الأمازيغية تحدثا أو فهما، وهنا مربط الفرس الذي جعلني

أرفع التحدي خلال دراستي الجامعية، حتى أنني اخترت التوجه لدراسة اللغة والثقافة الأمازيغية بجامعة الحاج لخضر وتحصلت على شهادة الماستر تخصص أنثروبولوجيا، عن مذكرة تخرج «الهوية الأمازيغية في المسرح الجزائري» وهي دراسة أعددتها بإشراف من المرحوم رئيس قسم اللغة والثقافة الأمازيغية سابقا الأستاذ جمال نحالي، والذي أترحم عليه ولطالما كنت ممتنة له، لتشجيعي في الجمع بين الدراسة الأكاديمية والممارسة المسرحية على الخشبة، وحتى إعداد البحث لم يكن سهلا واعتمدت مسحا لعناصر العرض المسرحي بمساعدة ممثلين من مسرح باتنة الجهوي.

○النصر: هل كان الأمر سهلا بالنسبة لك تعلم الأمازيغية وتحديدا المتغير الشاوي للأداء المسرحي؟

هنا سأعود بك إلى بداياتي في تعلم الحديث بالشاوية، وهي مرتبطة بحبي وولعي

لولوج المسرح المحترف الأمازيغي، حيث لم أنشأ على اكتساب الحديث بالشاوية بمسقط رأسي في مدينة مروانة، غير أنه لما أتيحت لي أول فرصة للمشاركة في عرض مسرحي بالشاوية سنة 2011 من طرف كاتب النص الأستاذ العربي بولبينة، قررت حينها رفع التحدي لتعلمها، خاصة بعد أن حرمت من المشاركة في عرض مسرحي جامعي، وفي الحقيقة لم يكن الأمر سهلا، خاصة وأنني كنت في سباق مع الوقت للمشاركة في العرض في تظاهرة المهرجان الوطني للمسرح الأمازيغي، حيث قضيت ليال بيضاء للتعلم والتدريب، ويعود الفضل للأستاذ العربي بولبينة وصديقتي سعاد خلفاوي في مرافقتي ومساعد المخرج كمال زرارة، وقد نلت الإعجاب من طرف المخرج شوقي بوزيد الذي حفزني على أنني سأنال جائزة أحسن أداء نسائي، وهو ما تحقق فعلا بمشاركتي في الطبعة الثالثة للمسرح الأمازيغي.

○النصر: إذن فالمسرح الجامعي كان معبرا لك للمسرح الأمازيغي؟

كان ولوج المسرح حلما يراودني منذ طفولتي، حيث كانت لي ممارسات في أنشطة مسرحية في مرحلة الطفولة بدار الثقافة بمروانة، وفي صباي لطالما كنت أحلم أمام المراة باعتلاء خشبة المسرح وأنا أؤدي تحت تصفيقات الجمهور، وببلوغي المرحلة الجامعية أتيحت لي فرصة المشاركة في عرض مسرحي بالإقامة الجامعية الإخوة أوجرة، حيث كنت أقيم، وقد تم اختياري بعد الكاستينغ لأداء دور لمسرحية لكاتبها العربي بولبينة، غير أن التجربة لم تكتمل بعد حرماني بذلك بداعي غيابي عن التدريب، بعد أن شاركت رفقة فريق الطالبات بالإقامة في تظاهرة كروية، ولن تمحى تلك اللحظات من ذاكرتي، حيث صُدمت، لكن من محاسن الصدف أن تشاء الأقدار ويتم عرض نفس النص على المسرح الجهوي باتنة للمشاركة في المهرجان الوطني للمسرح الأمازيغي والذي تم قبوله، وحينها تذكر العربي بولبينة دموعي التي ذرفتها للمشاركة في المسرح الجامعي، بعد أن حرمت منها، فبحث عني وكانت فرصتي لولوج المسرح المحترف.

○النصر: ماذا عن الفرص التي يتيحها المسرح الجامعي للطالب؟

أوضح مرة أخرى للكثيرين ممن يعرفونني، أن بدايتي وبوابتي للمسرح هي المهرجان الوطني للمسرح الأمازيغي سنة 2011، بعد أن باءت محاولة عمل مسرحي بالجامعة بالفشل سنة 2010، ولكن بعدها كانت لي أعمال عدة بالجامعة، ويمكن القول أن المسرح الجامعي كان معبرا لي نحو الأفق، والمسرح الجامعي هو مسرح محترف كونه مسرح نخبوي كثيرا ما يقدم أعمالا وزنها من أعمال المسارح المحترفة، وما يميز المسرح الجامعي هو التقاء نخبة الطلبة بالفن والثقافة، وأرى أنه في تطور خاصة بعد استئناف تظاهرة المهرجان الوطني للمسرح الجامعي، وقد عدت من جامعة سيدي بلعباس بجائزة أحسن نص لمسرحية «برزخ» وسبق أن توجت على جائزة أحسن نص درامي.

○النصر: هل من السهل الأداء في المونودرام وحيدة على الخشبة مقارنة بالعمل المسرحي الجماعي؟

كانت لي أول تجربة مونودرام في عمل بعنوان «سوصول»، وكانت أول كتابة لي وأديته، بإخراج من الزميل عصام خنوش في الجامعة، وشاركت به في المهرجان الوطني للمونولوق سنة 2018 وتحصلنا على جائزة أحسن عرض متكامل، وشاركنا بنفس العرض بالمهرجان الدولي للمونودرام بسيدي بوزيد بتونس، وتحصلت على جائزة أحسن أداء نسائي فيما تحصل عصام خنوش على جائزة أحسن إخراج، بالإضافة لنيلنا للدرع البرونزي، وفي حقيقة الأمر أداء المونودرام أمر صعب على الخشبة لأنه لا مجال للخطأ، والديكور لا يتغير، وكنت قد أديت

وأنا مكبلة بسلاسل ثقيلة طيلة عرض كامل، وللمونودرام خصائص ومزايا، فهو يجعلك سلطان وملك الخشبة ويتيحك الفرصة لتقديم الأفضل.

○النصر: كيف ساهمت دراستك الأكاديمية للغة والثقافة الأمازيغية في صقل أدائك على الخشبة؟

بعد الطبعة الثالثة لمهرجان المسرح الأمازيغي، شاركت في الطبعة الخامسة مع المخرج لحسن شيبة بنص عالمي ترجمته الإعلامية سابقا بإذاعة باتنة نعيمة دلول، التي اعتمدت اللغة الأمازيغية الأكاديمية، وهنا وجدت صعوبات نوعا ما بعد أن رحت أتعلم الشاوية سماعا ونطقا، ورشحت لأفضل دور نسوي، وبعد هذه الطبعة مباشرة قررت حبا في المسرح الأمازيغي التوجه للتخصص في الدراسة بكلية اللغة والثقافة الأمازيغية، وقد تحصلت على شهادة الماستر تخصص أنثروبولوجيا وتطورت في الحديث بلسان طلق، وزاد شغفي بالمسرح الأمازيغي، خاصة بعد التشجيع الذي لقيته من المرحوم مشرفي في مذكرة التخرج الأستاذ جمال نحالي، والذي بفضله أعددت دراسة مذكرة ماستر حول «الهوية الأمازيغية في المسرح الجزائري»، وقد درست عناصر العرض المسرحي وأنا فخورة جدا بالعمل الذي قدمته.

○النصر: كيف خضت أول تجربة تلفزيونية أمام الكاميرات بعيدا عن خشبة المسرح التي اعتدت عليها؟

يأتي ظهوري لأول مرة في عمل تلفزيوني ناطق بالشاوية «منعرجات الحياة»، وأنا مفعمة بالنشاط بعد التتويج الأخير بأحسن دور نسائي في مسرحية «إخف نوسقاس» أو رأس السنة لمخرجها الفنان علي جبارة، والتي توجت بعديد الجوائز سواء في المهرجان الوطني للمسرح الأمازيغي بباتنة أو المسرح الضاحك بولاية المدية، حيث قدمنا العرض عديد المرات عبر جولات، وقبلها كانت لي تجربة مميزة مع الفنان المخرج سمير أوجيت في عمل شبه ملحمي تاريخي لعرض «الماضي يعود»، وبالعودة لسؤالك فكما وسبق أن أخبرتك أنا ابنة المسرح وأفضل أن أظل كذلك، رغم أن التجربة التلفزيونية للمسلسل المبرمج خلال شهر رمضان، كانت رائعة رفقة فريق العمل، وكان دوري هو أستاذة بطلة المسلسل الممثلة لبنة النوي في دور صابرة حيث أكون صديقة العائلة، وحتى إن كان ظهوري عبر الحلقات قليلا إلا أنني استمتعت بالتجربة التلفزيونية لأول مرة.

○النصر: كيف تقيمين مشوراك وهل من أعمال مستقبلية؟

في الحقيقة أنا راضية تمام الرضا على مشواري في المسرح، وبالنسبة للتلفزيون حتى وإن كنت أفضل المسرح، إلا أن معايير الانتقاء أرى فيها إجحافا ليس في حقي، وإنما في حق عديد الفنانين الذين لم ينالوا فرصهم بسبب خيارات المخرجين، لهذا فأنا مستمرة في الظهور على الخشبة، وإن كان الأمر صعبا من أجل توزيع المهام بين الالتزامات العائلية وحب المسرح، لهذا فإن طموحاتي تتوجه نحو التفرغ للكتابة المسرحية والأدبية مستقبلا، حتى أتفرغ لعائلتي وأوجه بالمناسبة كل التحية والتقدير لزوجي على مساندته ودعمه لي.

ي.ع

«الطّانفا» رواية جديدة للصدّيق حاج أحمد الزيواني

عن دار فضاءات، للنشر والتوزيع، صدرت هذا الأسبوع في الأردن، وفي طبعة عربية رواية جديدة، للكاتب والروائي الصدّيق حاج أحمد (الزيواني)، حملت عنوان: «الطّانفا». وتتناول ثيمة الهويات الإفريقية، ومن بينها هوية لباس الشمع الإفريقي، المُعروف شعبيًا بالطّانفا، أو ما بات يُعرف ثقافيًّا، بالواكس الإفريقي.

ويقول الكاتب بشأنها: «صحيح أني رأيتُ منذ الطفولة، غزو هذا القماش من جهة إفريقيا الجنوب، مع تُجّار تمور قصرنا لبلاد السودان، وتكرّس هذا الاعتقاد وفاض، خلال رحلاتي المتكرّرة لتلك البلدان، جنوب الصحراء الكُبرى؛ غير أنّ الّذي جعل وعيي الكتابي، يتحرّك ويستفزّني حقًا، للكتابة عَن هذه الهوية، هو رؤيتي لبعض الأفارقة بموسم حج 2023، وهم يدخلون المشاعر المقدّسة، برداءات جماعيّة من ذلك اللّباس الملوّن الصارخ في لونه وتشكّلاته، حتى بات هوية، ليس للأفارقة بأوطانهم؛ إنّما بالشتات الإفريقي، كالكاريبي، وغيره من أماكن العالم، والتي هي في الحقيقة، صناعة استعمارية، تفطّن لها الاستعمار الهولنَدي، خلال استقطاب بعَض الأفارقة للعمل، بمَستعمرة إندونيسيا، وعند نهاية فترة عملهم هناك، نظر بعضهم لشراء بعض الأفراح لعوائلهم، التي غابوا عنها سنوات، فوجدوا الباتيك الإندونيسي المزخرف، أحسن هدية لذويهم، ممّا لفتَ الهولاند، ذلك السرور الفيّاضَ، الّذي استُقبلت به تلك الهدايا القماشية، فحملهم الاستغلال التجاري والثقافي، للاِستثمارَ في صناعة هذا اللّباس».

في حين جاء في كلمة الناشر حول ذات الرواية، ما فحواه: «نصّ ثقافي ومُقاوم بامتياز! هذا ما يمكن أن يقوله النقد الثقَافي وما بعد الكولونيالي والديكولونيالي عنه، يتوارى في قُماش الشمع الأفريقي (الطّانفا)، يُغرّز الأسئلة ويحفر في الهويات الأفريقية، مُتّخذًا من ثقافات الجوار لشمال الصحراء الكُبرى مع جنوبها، فضاءً لحياكة سرده ونسج عوالمه، بلغة أصبحت علامة على مولاها. سارد يلتفع زيّه الصحراوي، لا تثنيه مجاهيل أفريقيا عن الولوج في عوالمها البكر، مهووس بتجاوز ذاته الساردة، وَإن أغرانا بحلول الشمال والضفاف المتوسطية من منطلق رحلة الأدغال، مع بطليه السابقين (مامادو) النيجيري في رواية (كامارا‌د)، و(بادي) المالي في رواية (مَنّا)؛ فإنّه يُدهشنا هذه المرّة في رواية (الطّانفا) برحلة عكسية من منطلق الشمال نحو الأدغال، مع بطله التواتي الجزائري (بوغرارة)، إنّها لعبة السرد ومُمكنات التخييل في اصطياد الثيمات وأسئلتها، عندما يَستثمرها الروائي بوعي في مناجم مشروعه».

مشيراً في ذات الكلمة، إلى أنّ: «الزيواني يلج روايته باِستخدام تكتيك

مدروس، أراده مدخلاً لباحث تواتي يستفيد من منحة (إيراسموس+) لتحضير دبلوم عال في الأنثروبولوجيا الثّقافيّة بجنوب أفريقيا، تواتيه الفرصة فينخرط في ورشة للكتابة الروائية هناك، هذا المُفتتح يهدينا إلى متن النص الحقيقي، عن طريق تقنية (البروفة) وخدعتها بعنوان ثانٍ من طرف ذلك الباحث الأنثروبولوجيِّ الروائي، حيثُ يروي لنا نص بروفة (أغَمّو) قصّة تاجر تمور تواتي يُدعى بوغرارة، يقوم بمغامرة نحو أسواق أفريقيا، ليجد نفسه بعد رحلات تاجرًا مرموقًا، يفز بصفقة توريد قماش (الواكس الأفريقي) لعموم أفريقيا وشتاتها بجزر الكريبي، حكاية تتشابك فيها الذات مع الآخر، الموطن مع الوطن، الواقعي مع العجائبي، لاسيما عندما يبهرنا الزيواني بحضور ثقافة سحر الفودو الأسود، وتمثّلاته في الذهنيات الأفريقية القارة أو تلك التي هاجرت إلى جزر الكاريبي... في هذا العمل لسنا على موعد مع سارد ذكي فقط؛ بل نحن أمام نص استثنائي، كلما ارتجفت محاولاً الفرار، شَدّك أكثر لتغوصَ فيه بلا عودة».

للإشارة، الصدّيق حاج أحمد «الزيواني»، كاتب وروائي، يشتغل كأستاذ مُحاضر لمقياسي اللسانيات وفقه اللّغة بجامعة أدرار. تقلّد عدة مهام بالجامعة منها نائب عميدَ كلية الآداب واللغات لمدة سنتين، ليتفرّغ بعدها للتدريس والبحث والإبداع. له مساهمات كثيرة ومتواصلة في الصحافة الوطنية وكذلك بالصحافة العربية، لاسيما جريدة (العرب) اللندنية، ومجلة (الجديد) اللندنية أيضا.

أصدر أوّل رواية له عام 2013 تحت عنوان «مملكة الزيوان». وبعدها رواية «كامارا‌د: رفيق الحيف والضياع» عام 2015. و»مَنّا.. قيامة شتات الصحراء». كما له مجموعة إصدارات أخرى في مجال الدراسات والأبحاث وأدب الرحلة، من بينها: «التاريخ الثقافي لإقليم توات» عام 2003. «الشيخ محمّد بن بادي الكنتي: حياته وآثاره» عام 2009. «رحلاتي لبلاد السافانا: النيجر، مالي، السودان».

نوّارة/ل

"قال لي الخيّام" جديد الشاعر رابح ظريف

في طبعة عراقية عن دار الشؤون الثّقافية العامة ببغداد، وطبعة جزائرية عن دار خيال للنشر والترجمة، صدر في الآونة الأخير ديوان جديد للشاعر رابح ظريف بعنوان «قال لي الخيّام».

الديوان عبارة عن مجموعة مقاطع شعرية رُباعيّة في أغلبها، كتبها الشاعر في فترات مختلفة، وتُمثّل حالة شعريّة تجريديّة وروحيّة. قد يكون الخيّام -حسب قول الشاعر ظرف- «أقرب إليها من غيره، إذ حاول من خلالها رصد هذه الحالة التي تملّكت عددًا من الشّعراء عبر التاريخ وربّما كان يمكن للخيّام وحده أن يكتبها».

وجاء في كلمة الناشر الجزائري قوله: «يحتاجُ القَارئ إلى عُزلة استثنَائية لقراءة قَصائد «رابحْ ظريف»، فهي ليسَت محض نصوص شعَريَة تقوم علىَ بناء فني ولغوي محدّد، بل نُصوص روحانية لها المقدرة على جعل القارئ يبتسم مطوّلا وهو يُواجه غير المتوقع من تراكيب ورؤى شعرية رفيعة تقوده نحو دهشة لا يمكن تجاوزها، ومع التقدم في قراءة العمل يصبح صداه حفرًا في الذاكرة! هذا الشّعر نتاج تجربة طويلة في الحياة والقصيدة والثقافة خاضها شاعر مكرّس على المسَتوى الوطني والعربي، وقد ظلّ مقيمًا في النص لعقود تمكّن خلالها من نحت عبارته المختلفة».

للإشارة: رابح ظريف، سبق له أن نشر أعمالًا شعرية، أبرزُها «العودة إلى الجنّة» (1997)، و«فاكهة الجمر» (2002)، و«التشكّل فيَ الغمام» (2007)، و«إلى وجهي الّذي لا يراني» (2014). وفي مجال الرواية صدر له «قديشة» (2011). أمّا في مجال كتابة السيناريو، فقد أنجز العديد من الأعمال التي تمّ تصويرُها في أعمال تلفزيونية، أبرزُها سيناريو الفيلم الروائي الطويل «الظل والقنديل» (2015)، وسيناريو الفيلم الروائي الطويل «بربروس» (2015)، وسيناريو الفيلم السينمائي «ابن باديس» (2017)، وسيناريو الفيلم السينمائي «أحمد باي» (2019).

نوّارة/ل

"أسطورة الكوليبري" جديد الباحث والناشط البيئي خالد فوضيل

عن دار «خيال» للنشر والترجمة، صدر منذ أيّام كتاب جديد للباحث والناشط البيئي الدكتور خالد فوضيل، حمل عنوان «أسطورة الكوليبري». وهو عبارة عن مجموعة مقالات وحوارات في البيئة والإنسان. الإصدار خلاصة سنوات من العمل الميداني، والنضال الإيكولوجي، والمساهمات المختلفة في الصحافة والإعلام بخصوص مواضيع البيئة والإنسان، والتي ساهم بها وشارك فيها الباحث، وهو إصدار يكاد يكون فريداً من نوعه في الجزائر، والأكيد سيكون قيمة مُضافة للمحتوى البيئي والفكر الإيكولوجي في الجزائر. يستشهد خالد فوضيل بمقولة هوبرت ريفز، عالم الفيزياء والناشط البيئي الفرانكو كندي: «نحن نشنّ حربًا ضدّ الطبيعة، إذا انتصرنا فيها فقد خسرنا».

وهنا يرى المؤلف أنّ الطبيعة تعتبر امتدادًا لوجود الإنسان واستقراره على الصَعيد البيولوجي والرّوحي، وأنّ علاقة الإنسان الوجودية وارتباطه بالطبيعة حقيقة وواقع لا يمكن تجاهُله مهما تغيّرت الحياة وتطورت الصناعة والتكنولوجيا.

فقد اندفع الإنسان -حسب قوله- على مرّ العصَور لابتكار كلّ ما من شأنه أن يحميه من عواقبَ الطبيعة وقساوتها، ومع مرور الزمن تغلّب النّاس تقريبًا على كلّ ما يُهدّد حياتهم ورزقهم، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فمع رخاء العيش تَوَلَدَ الطموح ومع الطموح نشأ الجشع والأنانية، ومع الجشع استعمر الإنسانُ الطبيعة، واستعبد الحيوانَ، وقضى على مصادر عيشه الأساسية، وهدّد وجوده وكيانه وعاد إلى نقطة البداية يلهثُ مستغيثًا لاِستعادة ما فقده.

كما يتساءل الدكتور خالد في هذا الكتاب: هل يمكن إنقاذ الطبيعة من جشع الإنسان. وبكثير من الأمل والتفاؤل يؤكد: نحن اليوم جميعًا، نحتاج أن نكون مثل طائر «الكوليبري» في مُجتمعنا وبيئتنا ومُحيطنا. نقوم بواجبنا ونصيبنا من المسؤولية أمام حرائق الضمير المتتالية ورُكام التخلف والانحطاط من حولنا المُهدّد للطبيعة، نحاولَ أن نفرغ بمنقارنا ما أمكن من أمل وعمل وجهد من أجل إطفاء الحريق رغم أنّ الأغلبية الجامدة تعتقدُ أنّنا أغبّياء وأننا لن نُحقّق شيئًا بذلك.

للإشارة، عنوان الكتاب «أسطورة الكوليبري»، يُحيلَ إلى «أسطورة الكوليبري»، (الطائر الطنّان)، حيث أنّ هناك حادثة تعود إلى سكان أمريكا الأصليين، مفادها أنّ حريقًا ضخمًا اندلع، ذات يوم، في الغابة، وكانت جميع الحيوانات خائفة ومذعورة، ووقفت تُشاهد الكارثة في حالة من العجز. وحده الطائر الطنّان الصغير، أو الكوليبري، لم يكن يتفرج على الحريق، بل كان يجمع بضع قطرات من الماء بمنقاره ليرميها على النار. بعد قليل، انزعج أحد الحيوانات (تقول الأسطورة إنّه حيوان الأرماديلو أو المدرّع) من تصرف الطائر الصغير، وحركته الدؤوبة المزعجة، وقال له: «هل أنت مجنون؟ لن تُطفئ النار بهذه القطرات القليلة من الماء!». فأجاب الطائر: «أعلم ذلك، ولكنني أقوم بدوري». وهنا جميع الحيوانات بدأت في محاولة أخذ الماء بمَا توفر لديها لتذهب وتصبها على النار، مَحاولة إطفائها. والمغزى من أسطورة الكوليبري، هي أن كلّ جهد مهما كان حجمه فهو في النهاية جهدٌ محمودٌ ويمكن أن يقدم الكثير.

للتذكير، الدكتور خالد فوضيل أستاذ بجامعة قسنطينة 3، حائز على شهادة الدكتوراه في إدارة التقنيات الحضرية، وهو باحث مهتم بمجالات التخطيط الحضري والإقليم، والحوكمة، والتنمية، والبيئة. كما أنه ناشط جمعوي في حماية البيئة، وله العديد من الإسهامات في هذا الصدد، وهو رئيس مؤسس لجمعية «(Oxy-jeunes) درقينة» بولاية بجاية، وهي جمعية تأسست قبل تسع سنوات، تعمل في مجال العمل البيئي والتربوي، وتهدف إلى تعزيز وحماية التراث الطبيعي والتاريخي بالمنطقة. وهو أيضا من المساهمين في ملفات وندوات «كراس الثقافة».

نوّارة/ل